نظام الشورى في الإسلام حديث محاضرة يوم الأربعاء١٣/٥/١٩٨١م في مدينة ادنبره في اسكتلاندا

كانت الشورى حجر الأساس في قيام هيكل الدولة الإسلامية الأولى، وكان الرسول صلى الله عليه وسلم الذي يتلقى الوحي من السماء هو المشرع الأول لما ليس فيه من الله وحي وقد قدم المدينة ولم يكن بها كثير عدد من المسلمين بل كان المسلمون في المدينة قلة وإن كان لهم سلطان ظاهر.

وحرص الرسول في أيامه الأولى بالمدينة أن يضع للدولة الناشئة قانونًا ونظامًا يخدم مصلحة أهل المدينة مسلمين وغير مسلمين حتى لتكون المبادرة وزمام الأمر بأيدي المسلمين ويكون غير المسلمين تبعًا لهم في ذلك فدعى إلى وضع معاهدة المدينة أو دستور الدولة الإسلامية إذا شئتم ووضع معاهدة المدينة أو دستور الدولة الإسلامية إذا شئتم ووضع أول نظام حياة كامل قام على الشورى واعترف بحقوق الجماعات المتعددة والديانات غير الإسلامية ورتبت لكل أهل دين حقوقهم تجاه الآخرين. ولم يقل أنه يتلقى الوحي من السماء وأنه لا داعي لنظام لا ينزل به الوحي.

تعليق ... الأمور التي انتظر الرسول فيها الوحي ثلاثة الذين خلفوا، المجادلة، الأفك، فما هي الشورى.

www.mtenback.com

الشورى هي استطلاع الرأي من أهل الخبرة في أي أمر ليس الصواب فيه معلوماً أما إذا علم الأمر يقيناً فلا عمل للشورى وهذا التعريف لكي نخرج ما نزل به القرآن وأكدته السنة من دائرة الشورى. أي أن الأمور التي تدخل في إطار الشورى هي الأمور التي يكون الحق والمصلحة فيها غير معروفة على وجه التحديد.

الإمامة :

لهذا نأمل أمر أمرتنا ولسنة الشورة هو أمر الإمامة وسياسة الرعية كما يقول الماوردي (الإمامة موضوعة لخلافة النبوة في حراسة الدين وسياسة الدنيا وعقدها لمن يقوم بها في الأمة واجب بالإجماع) لتحقيق العدل في الدنيا وإقامة شرائع الله في الارض (إن الله يأمركم أن تؤدوا الأمانات إلى أهلها وإذا حكمتم بين الناس أن تحكموا بالعدل).

إن الله يأمر بالعدل والإحسان وحق لكل الناس المسلم وغير المسلم وفي النص القرآني (يأيها الذينِ آمنوا.. شهداء بالقسط ولا يجرمنكم شئنان قوم على الا تعدلوا، اعدلوا هو أقرب للتقوى. وليس للعدل وجه واحد بل العدل في كل شؤون الحياة هو المطلوب العدل في المعاملة والعدل في القضاء والعدل في الحقوق والعدل في الأموال. والعدل لا يتحقق بصورة كاملة إلا أن تتحقق شروطه ومناط كل هذا تعليق في رأس الدولة ولا يمكن أن يحصل عدل إذا

www.mtenback.com

اختل مناط العدل. ولأن الصحابة رضي الله عنهم فهموا معنى الشورى وفقهوا مدلولها كانت الخلافة أو الأمامة هي موضوع الشورى لاختيار النمط الأمثل في تحقيق العدل بشخص الخليفة أو الإمام ثم اختيار ما تفرع من القمة إلى القاعدة على نفس النمط حتى أنه كان لا يختار وأل ولا قاض في الدولة الإسلامية التي يحكمها نظام الشورى إلا بشورى وملأ من المسلمين ولذلك قال عمر أعضل بي أهل العراق ولا يرضون أميراً ولا يرضاهم أمير.

إذن فتطبيق نظام الحكم الذي يقره الإسلام أن يكون نظاماً شورياً وقد أوجب الله الشورى على الأمة في آيتين من القرآن ورد فيهما النص صريحاً على وجوب اتباع مبدأ الشورى في كل ما يعن للأمة الإسلامية من أمر. كان الأول للرسول صلى الله عليه وسلم الذي ينزل عليه الوحي وهو في قوله وفعله وغضبه ورضاه مشرعاً للأمة الإسلامية لا ينطق عن الهوى إن هو إلا وحي يوحى. وما كان لحاكم مسلم أو لجماعة مسلمة أن تحكم غير الشورى التي كانت واجبة بحق الرسول مع انه نبي يتصف بالعصمة ويوجهه القرآن وينزل عليه الوحي.

الآية الأخرى فكانت مدحاً واشارة بالمؤمنين الذين يتصفون بهذه الصفة صفة الشورى وعدم الاستبداد قال تعالى (وأمرهم شورى بينهم ومما رزقناهم ينفقون. وجاءت الأحاديث مؤيدة لما ورد في القرآن من ذلك قوله صلى الله عليه وسلم استعينوا على أموركم بالمشاورة، ما استغنى مستبد برأيه وما هلك

www.mtenback.com

أحد عن مشورة ما تشاور قوم قط إلا هدوا لأرشد أمرهم هذه هو القول أما العمل

يوم بد.

يوم أحد .

يوم الخندق .

معاهدة غطفان.

نزوله على حكم بني قريظة.

خلافة أبو بكر الصديق.

خلافة عمر .

خلافة عثمان .

خلافة علي.

كيف انتهت الشورى :

ما دام هذا نظام الشورى وما دام هذا تاريخها فلماذا لم يكن لدي المسلمين نظام كامل للحياة ولماذا يكون المسلمون اليوم عالة على النظم الشرقية والغربية.

موقع الدكتور مرزوق بن تنباك
www.mtenback.com

www.mtenback.com

نعود فنقول : إن الإسلام لا يفرق بين السلطة الدينية والسلطة الزمنية أي أنه ليس هناك دين ودولة، الدين والدولة في الإسلام شيء واحد. فإذا صادق وأتي الرجل إلى السلطة العليا الإمامة في الأمة الإسلامية عن غير رضى ومشورة أي من غير موجبات نظام الشورى الإسلامي فيصاب نظام الشورى ويصاب المجتمع الإسلامي بالضرر وتتعطل مواد النظام الإسلامي أو جزء منها ومن المؤسف أن الأمة الإسلامية اصيبت بهذا الداء مبكراً، وجاء معاوية بن ابي سفيان بعد أربعين عاماً من تأسيس الدولة الإسلامية العليا عن طريق ليس هو نظام الشورى وأعلن الأحكام العرفية وأوقف العمل ببعض مواد الدستور.

عندما وقف على منبري الكوفة – العاصمة المؤقتة للخلافة الراشدة وعلى منبر المدينة العاصمة الأبدية للإسلام ليقول للناس: إنه قد ولى الأمر لا رضى ومحبة منهم ولا يرده بولايته ولكنه جلدهم بالسيف مجالدة. ومنذ ذلك التاريخ .

إذ استثنينا عشر سنوات هي خلافة عبدالله بن الزبير حتى اليوم لم ترفع الأحكام العرفية التي أعلنها معاوية عن رقاب الأمة الإسلامية ولم تمارس حقها الدستوري عملياً حتى اليوم.

طبقاً لنظام الشورى في الإسلام. أما نظرياً فقد ألقت عشرات الكتب عن نظام الشورى وتناولها الباحثون القدماء والمحدثون ووضعوا قواعد ونظم لم

www.mtenback.com

يسبق أن انطبقت على أي وال من ولاة المسلمين منذ عهد معاوية حتى عمر بن عبد العزيز الصالح في نفسه لم يل الأمر عن شورى وملأ من المسلمين.

وقد وضع الفقهاء المسلمون للشورى نظامًا كاملاً وتصوراً واضحًا بناء على الممارسات التي تقدمت في عهد الرسول والراشدين. وفرعوا الفروع في كل جوانب الحياة الإسلامية لكن الذي قلل من أهمية هذا النظام وجعله غير محسوس هو أنه لم يتح له فرصة الظهور والعمل وبقي أفكاراً مجردة يعوزها التطبيق منذ قيام الدولة الأموية حتى العصر الحديث الذي حدث قبل سقوط الخلافة العثمانية. اهو أن الدولة الإسلامية كانت ذات سيادة على نفسها ومن في حوزتها وكان التعطيل في النظام الإسلامي تعطيلاً جزئيًا أي أن ما يتعلق بولاية الخليفة هو الجانب المعطل من النظام الإسلامي قاتمة حسب التصوير الإسلامي كالمعاملات والقضاء والمعاهدات وشئون الحرب والسلم وغيرها. وكان الاعتراف بهذا النوع من الخلافة اعترافًا بالأمر الواقع أي التغلب .

أما الاصل الشرعي للخلافة أ، لإمامة فالمسلمون يجمعون على أنه ليس لثبوت الخلافة أو لإمامة إلا طريقان إتيان النص –ويقصدون به التعيين من الله –والاختيار أي من الأمة.

وقد طور الفقهاء المسلمون أساس الشورى وتصورا أن هناك هيئة خاصة تماس هذا الحق بالنيابة عن عامة المسلمين وسموهم أه الحل والعقد وجعلوا

www.mtenback.com

هذه الهيئة هي ساسة الحق بعقد الأمانة نيابة عن الأمانة لمن تختاره وكلا هذا ليكون اختيار الخليفة أقرب نمط الشورى الشرعية.

أما بعد سقوط الخلافة العثمانية في أول هذا القرن قد فقد العالم الإسلامي سيادته وشخصيته القانونية ومن الطبيعي أن تعطل النظم الإسلامية بكاملها بما فيها نظام الشورى واستبدال النظم الغربية والشرقية بالنظام الإسلامي. وحتى قبل عشر سنوات مضت كان إعادة العمل بالنظام الإسلامي غير وارد أبداً.

ولكن خلال العشر السنوات الماضية بدأ العالم الإسلام يراجع حساباته وبدِأت تظهر في الأفق جماعات إسلامية تطالب بالعودة إلى النظام الإسلامي وتطبيق وبدأت المؤتمرات واللجان تبحث في إمكانية البديل للنظم الغربية والشرقية التي سيطرت على كل أجزاء العالم الإسلامي واتجهت إلى نظام الشورى كبديل مناسب وحتى اليوم لم يتحقق الاتجاه الإسلامي نجاحاً مذكوراً إنما نستطيع أن نصف هذه الاتجاهات إلى ثلاث فئات متميزة اليوم.

الفئة الأولى :

المصلحية أو النفيعة التي تفسر الشورة تفسيراً يخدم المصالح والمنافع القائمة وتحاول أن تجعل الشورى في قالبها الجديد مطية ذلولا للمتغلبين على الأمر وهذه الفئة غالباً تعين في ظل دولة الديمقراطية.

www.mtenback.com

الفئة الثانية :

تقف موقفًا شخصيًا ونعطي تصور مجرداً ترى انه الأمثل وتسرف هذه الفئة في تصوراتها وتنسى ما يحيط بها من عقبات ومشاكل وهؤلاء هم المستقلون الذين ينظرون للأمر بنظرة ذائبة.

الفئة الثالثة :

هم دعاة التحديث إلى الذين استساغوا النظم الغربية والشرقية وكان حظهم من معرفة النظم الإسلامية قليلاً ولكنهم أرادوا ركوب التيار الجديد للاستفادة منه وتوجيه لمصالحهم هؤلاء كلما عرض لهم جزئية من نظام الشورى في جانب من جوانب الحياة قالوا هذا يتفق مع الديمقراطية وهذا يتفق مع الاشتراكية وهلم جرا وآفة هذه الفئة أنها تأخذ النظم الغربية أو الشرقية مثالاً وتريد أن ترغم النظام الإسلامي ليكون متفقًا معها.

www.mtenback.com